تدريس الطب باللغة العربية، الآفاق والإمكانات في رحاب الضاد

د. عدنان التازي
أستاذ الوبائيات و الصحة العامة
المدرسة الوطنية للصحة العمومية-الرباط

هل صدفة أن تكون كل الدول المتقدمة تُدرس الطب والعلوم الأخرى بلغتها الوطنية وأن الدول التي تدرس بغير لغتها دول غير متقدمة؟ لا يحتاج المرء إلى كثير من الذكاء للربط بين لغة التدريس والرقي المعرفي والحضاري للمجتمعات، وهذا الربط مدعوم بالحجج العلمية والتجارب الدولية وقناعة الخبراء في ميدان التربية والتكوين.

في مجال الطب، أظهرت عدة دراسات (في دول الخليج خصوصا) أن استعمال اللغة العربية في التدريس بدل اللغة الإنجليزية يمنح طلبة الطب زيادة كبيرة في نسبة الاستيعاب وفي سرعة القراءة والكتابة، مما يرفع كثيرا من مستوى التحصيل العلمي. من فوائد تدريس العلوم الصحية باللغة العربية كذلك تعزيز تواصل مهنيي الصحة مع المرضى والمواطنين.

في المغرب، من بين التوصيات التي صدرت عن مؤتمر الجمعية المغربية للتواصل الصحي سنة 2014: ضرورة إعطاء الأولوية لاستيعاب العلوم والمهارات وذلك بالتدريس باللغة العربية التي تضمن أعلى مستويات الاستيعاب وكذا تعزيز تدريس اللغة الإنجليزية من المستوى الابتدائي إلى الجامعي لأنه ضرورة حيوية للانفتاح على العالم. هذا المؤتمر كان تحت عنوان "تدريس العلوم الصحية، بأية لغة؟" وحضره العديد من عمداء كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان وأساتذة وخبراء من المغرب وخارجه. بعد ذلك شرعت الجمعية السالفة الذكر في ترجمة المقرر الدراسي الجامعي المعتمد بكليات الطب بالمغرب بتعاون مع مجموعة من أساتذة الطب والصيدلة، وقد بلغت نسبة ما هو مترجم حاليا حوالي 80%. لم تكن المصطلحات العلمية حاجزا في الترجمة لوجود العديد من المعاجم المتخصصة، كالمعجم الطبي الموحد لمنظمة الصحة العالمية الذي يحتوي على أكثر من 150 ألف مصطلح (إنجليزي، فرنسي، عربي)، والمعاجم الموحدة الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط وغيرها، بالإضافة إلى مواقع إلكترونية للعلوم الطبية توفر محتوى رقمي ضخم باللغة العربية (كتب المناهج الطبية، معاجم، كتب طبية مترجمة إلى العربية، إلخ..)، أهمها موقع "العلوم الطبية باللغة العربية" التابع لمركز تعريب العلوم الصحية بالكويت.

ختاما، إن الرقي العلمي والحضاري وانتقال المغرب إلى مجتمع المعرفة مشروط بتعلم أبناءه بلغتهم العربية وليس بلغة المستعمر، وهذا أمر هيّن متى توفرت الإرادة السياسية ووُضعت لذلك استراتيجية بأهداف محددة زمنيا. هذا هو الاختيار الصائب، وهو حتمي إن عاجلاً أو آجلاً، ولعمري سيكون خطوة كبيرة نحو استقلال حقيقي عن فرنسا الاستعمارية.